قاعدةٌ في فضائل القرآن

لشيخ الإسلام ابن تيمية

المتوفي سنة (728) هجري

رحمه الله

من أمالي فضيلة الشيخ

صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَمَدٍ العُصَيْمِيِّ

حفظه الله

برنامج الدرس الواحد الثامن **(سنة1431)**

(الكتاب الثامن والعشرون)

الحمد لله ربِّنا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا هو الدرس الثامن والعشرون من (برنامج الدرس الواحد الثامن), والكتاب المقروء فيه هو «قاعدةٌ في فضائل القرآن» لشيخ الإسلام أبي العباس ابن تيمية الحفيد رحمه الله تعالى.

قبل الشروع في إقرائه لابد من ذكر مقدمتين اثنتين:

المقدِّمة الأولى:

التعريف بالمصنِّف, وتنتظم في ثلاثة مقاصد:

المقصدُ الأول:

جرُّ نسبه: هو شيخ الإسلام وبحر العلوم أحمد بنُ عبد الحليم بنِ عبدالسلام النميريُّ الحرانيّ, يكنى بأبي العباس, ويعرف بابن تيمية, وبشيخ الإسلام, وبتقي الدين, وكان يكره هذا في ما تقرر من كراهة الألقاب المضافةِ إلى الدين.

المقصد الثاني:

تأريخُ مولده: ولد في العاشر من ربيع الأولِ, سنة إحدى وستين وستمائة.

المقصد الثالث:

تأريخ وفاته: توفي –رحمه الله – في العشرين من ذي القعدة, سنة ثمان وعشرين وسبعمائة, وله من العمر سبع وستون سنة.

المقدِّمةُ الثانية:

التعريف بالمصنَّف, وتنتظم في ثلاثة مقاصد أيضا:

المقصد الأول:

تحقيقُ عنوانه: طُبع هذا الكتاب باسم ((قاعدةٌ في فضائل القرآن)), وهو اسمٌ لم تحمله النسخة الخطية للكتاب, لكنّ ناشره استأنس بكون المصنِّف له كتابٌ مذكورٌ بهذا الاسم, وهذه الرسالة فيها قدرٌ من ذكر فضائل القرآن, فاستحسن اختيار هذا الاسم له, وهذا الّذي اعتمده يحتاجُ إلى دليلٍ لأن ((كتاب فضائل القرآن)) لابن تيمية هو هذا! واسمه على النسخة الخطية ((رسالةٌ في أنّ القرآن تبيانٌ لكل شيء)).

المقصد الثاني:

بيانُ موضوعه: اشتمل هذا الكتاب على ذكر متفرقاتٍ من علوم القرآن, كأنه جعلهُ مُقدمةً لتفسير, وسيأتي في كلامه الإشارة إلى ذلك, والظاهر –والله أعلم– أنّ هذا الكتاب صِلةً بالكتاب المطبوع باسم ((مقدمةٌ في أصول التفسير)) لابن تيمية, ففي موضعٍ من ((المُقدمة)) عطفَ على غير مذكور فقال: وبه. ثم ساق حديثاً من جامع الترمذي, وهنا أسند أبو العباس ابن تيمية رحمه الله تعالى حديثاً بإسناده من طريق الترمذي, فكأن العطف هناك راجعٌ على المذكور هاهنا,

وموضوعاتهما شديدة الاشتباه, والنسخة التي نشرت قديماً من«مقدمة أصول التفسير» وتبعها الناس هي مُلفقةٌ بين نسختين, فالله أعلم بحقيقة الحال.

المقصد الثالث:

توضيحُ منهجه: إن منهج ابن العباس ابن تيمية الحفيد في بيان العلوم معروفٌ عند كلِّ من تعاطى كُتبه قراءةً ودرساً وتعليماً, وهو بحرٌ في غزارةِ الأدلة, وحسنِ الاستدلال, وقوة الاستنباط.

ولا تتميزُ هذه الرسالة بشيءٍ خرج به عن طريقته إلا أنه ساق عدة أحاديث بأسانيده هو, وهذا شيءٌ لم يقع منه في الكتب المنشورة له إلا في «كتاب الأربعين».

قال شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب, وأجزل لأهله من عبادة الثواب, وأكمل ببدائع حكمه ومعانيه نصاب الصواب, وأجمل لجوامع كلمه ومبانه فصل الخطاب, وفصل فيه كل شيء بالتعيين كما فضل عقده بالنظم العجاب بياناً شافياً للمهتدين, وبرهاناً كافياً لأولى اللسن والإعراب[1] حيث أنزله بلسان عربي مبين, وعلى أحسن الأساليب بين الاقصار والاسهاب, وفضله على جميع كتب الأولين, وإذ جمع فيه جماع الطلاب, وجعله مهيميناً عليه كالحاكم الشاهد, ومصدقاً لما بين يديه من الكتاب.

وكانت تنزل على حرف واحد من باب واحد فانزله على سبعة أحرف من سبعة

[1] تصحيح من الشيخ حفظه الله, والنسخة المقروءة: اللسن والأعراب.

أبواب, وتولى حفظه بنفسه, كما يسر حفظه بدرسه, واستحفظ غثرة فغير, ولا يتلى إلا من الإهاب.

ولم يجعل له عوجاً لا مخلوقاً ولا مختلفاً مَرجاً تنزيهاً له عن كل عاب, بل أنزله قيماً عدلاً قولاً فصلاً لا هزلاً هادياً لأقوم الأسباب على قلب رسول كريم يهدي إلى صراط مستقيم صراط العزيز الحميد الوهاب, لينذر بأساً شديداً من لدنه أعده لمن أعرض عنه في يوم الحساب, ويبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم أجراً حسناً بالحسنات ماكثين فيه أبداً بلا انقضاب ياله فضلاً ورحمة ونعمة أيُّ أيّةُ نعمة ومناً بغير حساب.

يخرج الناس من الظلمات إلى النور, ويبين لهم حقايق الأمور فيما شهدوا وفيما غاب.

فطوبى لمن أخذ ما أوتي بقوةٍ وارتضع من ذدي النبوة واضطبع من هذا الشراب من الأحبار الأخيار أولى الأيدي والأبصار وكل عبد أواب.

وشرح الله صدره للإسلام فاتحد كتاب الله كالإمام في كل ذهاب وإياب, وأوتي فهمه وعلمه.

فعقل عن الله حكمه بالحِكم والأسباب, وتدبره بطناً وظهراً, وتصوره تبصرة وذكرى فتخيره على جميع الآداب, وتفكر في عجائب اسراره وتذكر ببصاير أنواره وتسور سور الحجاب.

وتحلى بحلل شرائعه وحقائقه أو تحلى بالتنزه في رياض حدائقه وخاض في العباب.

قد عاد عليه ما وصف به ربنا من بركاته, إذ حصل على اجتناء ثمراته فقال رفعاً للارتياب:

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص/29].

فتبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا, وجعله هو الدعوة والبرهان على أنه من عنده واضحة التبين تقريراً باعجازه فقامت الحجة بإعجازه, كما بانت المحجة برهاناً ونورا, وإذ اعجز به مصاقع البلغاء وخصه بالدوام والبقاء ليبقى التحدي مقدورا, كما جعله من بين آيات الأنبياء وحياً أنزله من السماء فجعله أكثر نفيراً, وحكى غُرر حكمه بحلى درر كَلِمه بمخير تخييراً وأودع عجائب معانيه وغرائب حكم مبانيه, ونظمه تبصيراً وتذكيراً, كما أنزله متوافق المعاني متشابهاً مثاني أولاً وأخيراً.

وجمع فيه علم الأولين والآخرين, وفصل فيه حقائق الدين فاسأل به خبيراً.

وضرب فيه للناس من كل مثل, وهدى به لصالح القول والعمل مبداءً ومصيراً, ونهج بقصصه سبيل الاعتبار, ووعظ بوعده ووعيده أولى الأبصار انذاراً وتبشيراً, وحض على تدبر آياته والتبصر في بيانه وتفكيراً, فقال موجزاً للبيان تحقيقاً وتقديرا: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء/82].

نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ثناءً وشكورا, ونستعينه, ونستغفره, ونستهديه ولياً ونصيراً, ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً أحداً صمداً قديراً, ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً, وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً صلى الله عليه وعلى آله الذين اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً, وعلى سائر عباد الله الصالحين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن عظيم قدر القرآن أجل من أن يخفى على أحد من أهل الإيمان, وأن تفاوتوا في هذا الخطب الجليل من حيث الاجمال والتفصيل.

كيف وصفه الله بأكرم الصفات كما وسمه لباغيه بأحسن السمات. فقال مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم يَذكُر ما أنزله إليه: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأنعام/92].

وقال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة/48].

وقال تعظيماً للوقت الذي أمزله فيه جملة, والزمان: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} [البقرة/185].

وأقسم بقسم عظيم تفخيماً لأمره المبين: {إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ*فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ*لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ *تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الواقعة/77-80].

وقال: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآَنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى} [الرعد/31], يعني لكان هو هذا القرآن وكذلك نؤتى.

وقال تذكيراً بثقله وعظيمه لكل عبد أواه: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر/21].

وقال تنبيهاً على شرف هذا القرآن المجيد: { وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ* لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت/42], و{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [البقرة/176].

كما حرسه من يعبث فيه الملحدون بقوله: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر/9].

وقال مخبراً عن امتيازه بعد ما تحدى باعجازه تقديساً, وتقديراً: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء/88].

وقال بياناً للصراط المستقيم, وفرقاناً بين المحسن واللئيم هداية وتعظيماً: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا*وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}

[الإسراء/9-10].

كما قال: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [الأنعام/153].

وقال: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الزمر/27].

وعن محمد بن كعب القُرظي, وهو من خيار التابعين, وممن أوتي علم القرآن في قوله تعالى: {إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ} [آل عمران/193],

قال: هو القرآن, ليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم.

وعنه في قوله تعالى: {لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}[الأنعام/19].

قال: من بلغه القرآن فكأنما كلمه النبي صلى الله عليه وسلم.

وعن ابن عباس في قوله تعالى: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ} قال: القرآن. {وَبِرَحْمَتِهِ} أن جعلكم من أهله.

إلى غير ذلك من الآي التي تشير إلى عظيم فوائده وكريم محامده.

[أمالي الشيخ]

ذكر المصنف رحمه الله تعالى في هذه الجملة السالفة ما دلَّ على تعظيم قدر القرآن, وبيان جليل فوائده, وعظيم عوائده, وما اختص به من الصفات الجليلة, وسماته العظيمة, وهذا النسق الّذي تابع المصنِّف رحمه الله تعالى فيه نقل الآي أيةً بعد أيةٍ في الإخبار عما اكتنزه القرآن من معانٍ جليلة, مأخذٌ حسن في بيان قدر القرآن, فإن أعظم ما بُين به قدرُ كتاب الله عز وجل هو كتابُ الله عزّ وجلّ, ولبعض أهل العصر كتابٌ حسنٌ في الجملة اسمه ((حديثُ القرآن عن القرآن)), جمع فيه الآي التي ذُكرت في القرآن الكريم مما يتعلقُ بوصف القرآن الكريم,

ومطالعةُ هذه الآيات وتدبرها يُوقف العبد على قدر هذا الكتاب, فإن القلب إذا وعى قدر هذا الكتاب أجلّه, وإذا أجلّه أَقبل عليه, ولما كان السلف الصالح رحمهم الله تعالى يعقلون قدر القرآن, عظُم شُّغلهم به, فهم إذ يقولون في معتقدهم: القرآن كلامُ الله. إنما يقصدون بذلك ما له من مزيد العظمة, فقصروا الإخبار عن صفات القرآن كُلِّها بالإخبار عنه بهذه الصفة فقالوا: القرآن كلامُ الله. وإذا كان القرآن كلامُ الله فلا أعلى منه ولا أحلى على القلوب من إجرائه على الألسنة, وقديماً قال بعضُ الأدباء: كلامُ الملوكِ ملوكُ الكلام. فإذا كان هذا كلامُ ملوك البشر له حضرةٌ ومنزلةٌ عندهم, فكيف بكلام ملكِ الملوك سبحانه وتعالى! فحملهم عَقلُهم لهذا الأمر واطلاعهم على صفات القرآن الكريمة ومناقبه الجليلة على الإقبال على القرآن الكريم, وشغلِ وقتهم به, وردِّ علمهم كلهم إليه, فقد كانوا يرون أن العلم في القرآن كما قال ابن عباس رضي الله عنه:

جميعُ العلمِ في القرآن لكن   تقاصروا عنه أفهامُ الرجالِ

فلا يعرفون سلوةً بغيره, كما قال بعضُ أصحاب مالك: عجبنا من نزع مالكٍ من القرآن, فسألنا أخته عن شُغلِه. فقالت: إنه إذا دخل البيت لم يكن له شغلٌ إلا القرآن. أي عجبنا من قوة استنباطه من آي القرآن, فأحببنا أن ننظر في ما يشتغلُ به, فسألوا أخته فأرشدتهم إلى أنّ شُغله إذا دخل البيت هو قراءة القرآن الكريم.

ومن أدمن قراءة القرآن الكريم تفجرت له ينابيع فهمه, لأن إدمانه قراءَته دليلُ شغفه به, وإقباله عليه, ومن لطائف السؤالات ومنيح الجوابات أن الشيخ عبدالرحمن الدوسري رحمه الله تعالى سئل عن آلة التفسير؟ فقال: أولُ آلةِ التفسير فرحُ المُفسر بالقرآن. أي محبته للقرآن الكريم, وتعظيمه له, ونظره إليه

نظر استجلال وإكبار؛ فإذا وقر هذا المعنى في قلبه عَرف قدره فأحبه وفرح به, وكان سلوته وخلوته ولذته وأنسه إذا أنس الناس بالجلوات وحديث الناس, فتتفجرُ حينئذٍ ينابيعُ الحكمة على لسانه, ويفهم من كلام الله سبحانه وتعالى ما لا يفهمه غيره من أضرابه وأقرانه.

فمنفعة الاطلاع على صفات القرآن ومناقبه الجليلة التي ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى طرفاً منها, أنها تحملُ النفس وتجعلها مُشرفةً لابتغاء الاطلاع على هذا الكتاب واستنباط كنوزه.

وكلُّ كتابٍ تفنى فوائده وتنقضي عوائده إلا القرآنَ الكريم, فإنه يتجددُ من فوائده ويظهر من عوائده باعتبار ما يفتحُ الله سبحانه وتعالى لمن يفتح عليه من خلقه, فلا يُزهدك في فهم القرآن كثرةِ كتب التفسير, فإنها في الحقيقة أكثرها من قبيل نقلِ بعضهم عن بعض, وعلمُ التفسير كما ذكر الزركشي رحمه الله تعالى في ((قواعده)): هي من العلوم التي لم تنضج ولم تحترق. وسيبقى كذلك, لأن الخلق تعجزُبُ علومه وتعجزُ فُهومهم عن الإحاطة بكلام الله سبحانه وتعالى, ولكن في إقبال المرء عليه شغلٌ لنفسه بأعظم العلم وأصله ومرجعه ومرده, ومن أراد أن يفهم منه العلوم قدر على ذلك إذا فتح الله عزّ وجلّ له بفتوح العارفين, فانتفع به في كلِّ علمٍ أصليٍّ وآليّ.

وهذا الأمر إنما حُجب عنه الناس بأمورٍ منعتهم من التفسير, وسيذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى أن مدارها على أمرين فيما يستقبل.

اخبرني الشيخ الإمام العالم أبو زكريا محي الدين يحيى بن يوسف بن يعقوب

الرحبي إجازة, والحاج محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالدبس, قالا أخبرنا الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية إجازة[2], أخبرنا أبو زكريا يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح الحراني الفقيه, أنا الحافظ أبو محمد عبدالقادر بن عبدالله الرهاوي, أنا أبو الفتح نصر بن سيار بن صاعد بن سيار الهروي, أنا أبو عامر الأزدي, أنا أبو محمد عبدالجبار بن الجراح الجراحي, ثنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبي, ثنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي, ثنا عبد بن حميد, ثنا حسين بن علي الجعفي, ثنا حمزة الزيات, عن أبي المختار الطائي, عن ابن أخي الحارث الأعور, عن الحارث قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على علي, فقلت يا أمير المؤمنين: ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث, قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم.

قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنها ستكون فتنة.

فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله.

قال: كتاب الله, فيه نبأ ما قبلكم, وخبر ما بعدكم, وحكم ما بينكم, هو الفصل ليس بالهزل, من تركه من جبار قصمه الله, ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله, وهو حبل الله المتين, وهو الذكر الحكيم, وهو الصراط المستقيم, هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة, ولا يشبع منه العلماء, ولا يخلق عن كثرة الرد, ولا تنقضي عجائبه, وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعته حتى قالوا: {فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا*يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ} [الجن/ 1-2], من قال به صدق, ومن عمل به أجر, ومن حكم به عدل, ومن دعي إليه هدي إلى صراط مستقيم؛ خذها إليك يا أعور.

---

[2] نبه الشيخ -حفظه الله- أن الناسخ أسند إلى شيخ الإسلام, وشيخ الإسلام أسند بعد ذلك؛ والأصل أن الإسناد من شيخ الإسلام, لكن هذه النسخة تلقاها تلميذُ تلاميذه عن تلاميذه.

فإذا أردت أن تقرأ تقول: قال شيخ الإسلام. -في من بعد شيخ الإسلام-.

قال فيه الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات, وإسناده مجهول, وفي الحارث مقال, وهذا الحديث وإن كان لا يثبت في الرواية [3]. فإنه لم يشمل على حكم غريب بل على حسن السياق العجيب فحسنت روايته كسائر الترغيب والترهيب.

قوله: لا تزيغ به الأهواء. أي لا تزيغه ولا تميله, كما قال أقامه, وقام به.

وقوله: ولا يخلق عن كثرة الرد. أي لا يبلى عن كثرة التلاوة والتردد, بل كلما تلي ازداد جدة وطلاوة بخلاف عادة الكتب.

[أمالي الشيخ]

لما فرغ المصنّف رحمه الله تعالى من ذكر الآي المشتملة على فضل القرآن, وذكر خصاله وصفاته, شرع يذكر الأحاديث النبوية والآثار السلفية, وابتدأ ذلك بذكر حديث عليٍّ المشهور, وهو حديثٌ ضعيف كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تعالى, لكنه ليس مشتملاً على حكم الغريب, بل على حسن السياق العجيب, فحسنت روايته كسائر الترغيب والترهيب, وأمر الرواية أمرٌ وسع فيه الأولون كما ذكرت لكم آنفاً كسفيان وابن مهدي وأحمد بن حنبل.

وقوله: **(لا تزيغُ به الأهواء. أي تزيغه ولا تُميلُه. كما يقال أقامه وقام به).** أي

---

[3] تصحيح من الشيخ -حفظه الله تعالى- وفي النسخة المقروءة, تقديم من قوله: وهذا الحديث وإن كان لا يثبت في الرواية. قبل قال الترمذي.

وقال الشيخ: هذا الناشر أخطأ في تقديم كلام لأنه كان ملحق في هامش المخطوط, قال فيه الترمذي: حديثٌ غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات, وإسناده مجهول وفي الحارث مقال.

ثم: وهذا الحديث إن كان لا يثبت في الرواية, فإنه لا يشتمل...إلخ. هذا كان ملحق في الهامش أو دخله هو على وجهٍ غلط فيه.

أن حكم القرآن لا تغيره الأهواء التي تعتري الناس, فحم القرآن واحد لا يتغير, والناس يغيرون وإن انتسبوا إلى الإسلام والشريعة أو انتسبوا إلى القرآن, ثم انتحلوا أقولاً لا يدل عليها آي القرآن الكريم, فيكون الزيّغُ فيهم, وأما القرآن فإن حكمه واحد لا يتبدل سواءً في باب الأخبار أو في باب الطلبيات.

ثم ذكر من صفته أنه لا يخلق عن كثرة الرد. فهو لا يخلولق ولا يبلى بكثرة ترداده وتلاوته وقراءته, بل كلما تلي ازداد جدّةً وطلاوة, وكلما تدبر الإنسان شيئاً من الآي سبق له أن تدبره في ما سلف ظهر له من المعاني الجديدة ما لم يكن له ظاهراً من قبل, كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وهذا شيءٌ أختص به القرآن الكريم بخلاف عادة الكتب الأخرى, فإن الكتب الأخرى ربما ملت النفوس قراءتها أو انتهت إلى قدرٍ مقادير استنباط فوائدها, أما القرآن الكريم فإنه لا يزال بحراً زاخراً من الفوائد والعوائد الجليلة في حقائق العلم والإيمان, ولكنه نور يجعله الله سبحانه وتعالى لمن يشاء, {نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} [النور/35], {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور/40].

وقال أبو عبيد, حدثنا أبو اليقظان عمار بن محمد الثوري أو غيره, عن أبي إسحاق الهجري, أبي الأحوص, عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم, إن هذا القرآن حبل الله وهو النور المبين, والشفاء النافع, عصمة لمن تمسك به, ونجاه لمن تبعه, ولا يعوج فيقوم, ولا يزيغ فيستعتب, ولا تنقضي عجائبه, ولا يخلق عن كثرة الرد,

فاتلوه, فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات أما إني لا أقول ألم حرف ولكن ألف عشرة, ولام عشرة, وميم عشرة.

وكذلك رواه غير واحد عن أبي إسحاق مرفوعاً, ورواه غيرهم موقوفاً على ابن مسعود.

وأما الفصل الأخير منه فقد رواه الترمذي من حديث محمد بن كعب القرظي, عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة, والحسنة بعشر أمثالها, أما إني لا أقول: ألم حرف, ولكن ألف حرف, ولام حرف, وميم حرف», وقال: حديث حسن صحيح.

المأدبة بالضم والفتح: الطعام الذي يصنع للوليمة, كأنه أراد أنه في ضيافة الله التي دعا إليها عباده, من تعلم منه فقد نال من الضيافة بقدر ما علمه.

شبهه بذلك لأن الطعام قوت الأجسام, والقرآن قوت القلوب.

[أمالي الشيخ]

ذكر المصنّف رحمه الله هنا حديثاً آخر من الأحاديث المشهورة في نعت القرآن وهو حديث ابن مسعود: إن هذا القرآن مأدبة الله...الخ, وهذا الحديث إسناده ضعيف مرفوعاً وموقوفاً, والجملة الأخيرة: من قرأ حرفاً من كتاب الله...الخ, هذه ثابتةٌ عند الترمذي وغيره؛ وقد اختلف الرواة في وقفها ورفعها, والصحيح أنها موقوفةٌ لفظاً مرفوعةٌ حكماً, لأن مثلها لا يقال من قبل الرأي.

ثمّ فسر المصنّف رحمه الله تعالى المأدبة. تفتح وتضم, وبين أنه الطعام الّذي يصنع للوليمة, فكأن الله سبحانه وتعالى جعل القرآن ضيافة للخلق دعاهم إليها,

فمن تعلم من القرآن شيئاً من لفظه أو معناه فقد نال من الضيافة بقدر ما علمه.

ثمّ ذكر أبو العباس رحمه الله تعالى وجه التشبيه بين القرآن وبيّن المأدبة, فقال رحمه الله: **(شبه بذلك لأن الطعام قوت الأجسام, والقرآن قوتُ القلوب).** أي كما أنّ المأدبة تجمعُ أصناف الطعام التي يقتات بها الناس في حفظ قوام أبدانهم, فكذلك القرآن مشتملٌ على الأغذية التي بها صلاح قلوب الخلق.

ثمّ في هذا الحديث من اللطائف أن الله سبحانه وتعالى أضاف تلك المأدبة إليه, والإضافة هنا تشريفية, وموجب التشريف هو أنه كلام الله سبحانه وتعالى.

ثمّ فيه لطيفة أخرى وهو الإعلامُ بأن استقصاء جميع فوائد القرآن لا يكون لأحد من الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم, لأنه قال: «ما استطعتم». فالقدر التي وهبها الخلق لا تأتي على جميع فوائده, كما أن كلام الله سبحانه وتعالى لا ينفد كَلِماً, نزولاً منه سبحانه وتعالى كما قال تعالى: {مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [لقمان/27], فكذلك معاني كلمات الله سبحانه وتعالى لا تنفد, لأن المعنى تابعٌ للفظ, فالألفاظ قواربُ المعاني ومراكِبُها.

وقال أبو عبيد, حدثنا حجاج, عن المسعودي, عن عون بن عبدالله بن عتبة قال: مَلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مَلَّةً, فقالوا: يا رسول الله!! حدثنا: فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}.

قال: ثم نعته, فقال: {كِتَابًا مُتَشَابِهًا } الآية.

قال: ثم مَلَّوا مَلَّةً أخرى, فقالوا: يا رسول الله!! حدثنا فوق الحديث, ودون القرآن -يعنون القصص- فأنزل الله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآَنَ} الآية.

قال: إن أرادوا الحديث دلهم على أحسن الحديث, وإن أرادوا القصص دلهم على أحسن القصص القرآن[4].

[أمالي الشيخ]

وهذا الحديث حديثٌ ضعيف.

وقال كعب الحبر: عليكم بالقرآن, فإنه فهم العقل, ونور الحكمة, وأحدث الكتب عهداً بالرحمن. ولعظيم ما فيه من البركات كانت تلاوته واستماعه من أعظم القربات, والاشتغال بتعلمه وتعليمه من أسنى الطاعات, وكان لأهله أعلى الدرجات, وأوفى الكرامات.

عن عقبة بن عامر, قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصُّفة, فقال: أيكم يحب أن يغدوَ كلّ يوم إلى بُطحان, أو إلى العقيق, فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم, ولا قطيعة رحم, فقلنا يا رسول الله!! كلنا يحبُ ذلك.

فقال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد, فيتعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله خير من ناقتين, وثلاث خير من ثلاث, وأربع خير من أربع, ومن عدادهن من الإبل.

---

[4] هذا ضبط الشيخ -حفظه الله- وفي النسخة المقروءة: وإن أرادوا القصص القرآن.

رواه أحمد, ومسلم, وابن ماجه.

[أمالي الشيخ]

قوله صلى الله عليه وسلم: يأتي بناقتين كماوين. الناقة الكوماء هي عظيمة السنام, فجعل النبي صلى الله عليه وسلم تعلُم أو قراءة آيتين من كتاب الله خيرٌ من ناقتين, وثلاثٌ خير من ثلاث, وأربع خير من أربع, ومن عدادهن من الإبل, فلو قدر أن الإنسان يكتسب كلَّ يومٍ ناقتين كوماوين يدخلان في مِلكه وحيازته فإن دخول آيتين في حفظه وفي فهمه خيرٌ له من إدراكه للناقتين, وموجبُ الخيرية هاهنا أن منفعة ما يحاز من حطام الدنيا قليلةٌ ولو أنفقت في وجوه البِرّ, بخلاف منفعة القرآن الكريم, فإن منفعة القرآن الكريم إذا أنفقت تعليماً وتفهيماً وتذكيراً, كان أجرها أعظم عند الله سبحانه وتعالى.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان.

قلنا: نعم.

قال: ثلاث آيات يقرأهن أحدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان.

رواه مسلم.

[أمالي الشيخ]

هذا الحديث فيه فائدة فقهية لطيفة, وهي جواز قراءة بعض السورة في القرآن, لأن من الفقهاء من كرهوا ذلك, كيف الاستدلال؟ السنة أن يقرأ الإنسان في الركعة الأولى سورةً تامة, وفي الركعة الثانية سورة تامة, وذهب بعض أهل العلم إلى كراهة قراءة بعض السورة, وهذا الحديث دليلٌ على الجواز, فما وجه ذلك؟

ما هي السورة التي ثلاث آيات؟ سورة الكوثر. هل في غيرها ثلاث آيات؟ فقط الكوثر. فيدل هذه على ثلاث آياتٍ يقرأهنّ أحدكم في صلاته مقطوعٌ أن الإنسان لو قدر أن هناك سورةٌ غير الكوثر, مقطوعٌ أن الإنسان لا يقال أنه يسن له أن يكرر سورةً واحدة, بل كره الإمام مالك ذلك, كما أثر عنه رحمه الله تعالى, فيصير معنى هذا قراءة ثلاث آيات من القرآن, وثلاثُ آيات من القرآن الغالبُ أنها تكون أقل من سورة.

عن البراء بن عازب, قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف, وعنده فرس مربوط لشطنين فتغشته سحابة, فجعلت تدور, وتدنو, وجعل فرسه ينفر منها, فلما أصبح أتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك.

فقال: تلك السكينة تنزلت للقرآن. أخرجاه في الصحيحين.

عن أبي سعيد الخدري, أن أُسيد بن خضير بينما هو ليلة في مِربد, وهو يقرأ من الليل سورة الكهف إذ جالت فرسه, فقرأ, ثم جالت أخرى, فقرأ, ثم جالت أيضاً, قال أُسيد: فخشيت أن تطأ يحيى, فقمت إليها, فإذا مثل الظلة فوق رأسي

فيها أمثال السرج حتى عرجت في الجو حتى ما أراها, قال: فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت: يا رسول الله!! بينما أنا البارحة من جوف الليل اقرأ في مريدي إذ جالت فرسي, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ ابن خضير, قال: فقرأت, ثم جالت أيضاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرأ ابن خضير. فقال: فانصرفت, وكان يحيى قريباً منها, فخشيت أن تطأه, فرأيت مثل الظلة فيما أمثال السرج عرجت في السماء, حتى ما أراها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الملائكة كانت تسمع لقراءتك, ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم. أخرجاه.

عن أبي عبدالرحمن السلمي, عن عثمان بن عفان, عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. وفي رواية: أو علمه.

قال أبو عبدالرحمن: فذلك الذي أقعدني مقعدي هذا. وكان يُقري من إمرة عثمان حتى الحجاج. رواه البخاري.

وقال أبو عبيد, حدثنا حجاج, عن إسرائيل, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبدالله: كان يُقرئ القرآن, فيمر بالآية فيقول للرجل خذها!! أي خير مما على الأرض من شيء.

وعن ابن عباس, قال: من استمع[5] آية من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة.

[أمالي الشيخ]

اللفظ: من استمع. والثواب معلق بالاستماع, وليس بالسماع.

هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه عبدالرزاق وغيره بإسنادٍ صحيح, ومثله لا يقال من قبل الرأي, فله حُكم الرفع, وهذا نصٌّ على أن المرء يثاب على استماع القرآن, كما يثابُ على قراءته, لكن أفرادُ الثواب التي ذُكرت على القراءة غيرُ أفراد الثواب التي ذكرت على الاستماع, فهو يثاب هنا وهنا, لكن ثوابُه على

---

[5] كذا ضبطها شيخنا –حفظه الله-, والنسخة المقروءة: من سمع آية. بدل من: استمع.

الاستماع غير ثوابه على القراءة, فهو يثاب على القراءة بأن كلَّ حرفٍ بحسنة إلى عشرة حسنات إلى سبعمائة ضعف. كما جاء في حديث ابن مسعود المتقدم؛ ويثاب على الاستماع لأنه إذا استمع آيةٍ من كتاب الله كانت له نوراً يوم القيامة. فكلما زاد من الاستماع كلما زاد من النور يوم القيامة, ولأجل هذا كانت طريقة السلف رحمهم الله تعالى الجلوس لاستماع القرآن التي قَلّت في الأمة اليوم إلا في بلادٍ يسيرة, على طريقةٍ ليست طريقةَ من سلف, فقد روى البيهقي بسندٍ صحيح, عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا, قرأ أحدُهم أو أمروا قارئً فقرأ. فكانت طريقتهم رضي الله عنهم عند جلوسهم أن يقرأ أحدهم ويستمعون إليه.

وهذه السنة التي كانت عليها الصحابة قَلَّ العملُ بها في أكثر البلاد الإسلامية, بل ربما صار العمل بها في بعض البلدان مستغراباً مستشنعاً أن يجتمعوا ويقرأ واحد والبقية يستمعون, ويقول القائلُ من ناشئة الطلبة: أن الأفضل أن يقرأ كلُّ واحدٍ في المصحف, وإن هذا ليس له أصل. وهو مردودٌ عليه بهذا الأثر الّذي ذكرناه, في فعله, ومردودٌ عليه في ثوابه, فإن الاستماع يثابُ عليه العبد كما يثاب على القراءة وإنْ اختلفت أفراد الثواب.

ثم إن قول ابن عباس وله حُكم الرفع: «من استمع». دالٌ على اشتراط القصد. فلابد أن يُقصد وصول المسموع إلى العبد, أما من سمع اتفاقاً دون قصدٍ منه ولا رعاية لما يسمعه فهذا لا يكون له حظٌ, فالنسوة مثلاً اللواتي في البيوت, اللواتي يتركن إذاعة القرآن الكريم تقرأ, لا يحصل لهنَّ أجرٌ الاستماع إلى مع وجود الإقبال القلبي, بإدراك المسموع, وأما الاشتغال بمهنة البيت دون إدراكٍ للمسموع فلا يكون داخلاً في الأجر.

عن أبي موسى الأشعري قال, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن, مثل: الأترجة طعمها طيب, وريحها طيب, ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل: التمرة طعمها حلو, ولا ريح لها, ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن, مثل: الريحانة ريحها طيب, وطعمها مُرّ, ومثل: المنافق الذي لا يقرأ القرآن, كمثل: الحنظلة طعمها مُرّ, ولا ريح لها. أخرجاه.
وقال عبدالله بن الإمام أحمد, حدثني أبي, قال: ثنا يزيد بن عبدربه, قال: ثنا الوليد بن مسلم, عن محمد بن مهاجر, عن الوليد بن عبدالرحمن الجُرشي, عن جبير بن نفير, قال: سمعت النواس بن سمعان الكِلابي, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالقرآن يوم القيامة, وأهله الذين كانوا يعملون به, يقدمه سورة البقرة, وآل عمران, وضرب لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد, قال: كأنها غمامتان, أو ظلتان سوادوان بينهما شرقٌ[6], أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما.
رواه مسلم عن إسحاق بن منصور, عن يزيد بن عبدربه بدلاً[1], ومعناه عند أهل العلم أنه يجيء ثواب القرآن, هكذا فسره الترمذي وغيره.

[أمالي الشيخ]

شرقٌ: يعني النور.

والغمامة والظلة: يعني السحاب.

ما معنى بدلا؟ العلو والمقيد أول مراتبه؟ الموافقة –أن يوافقه في شيخه–. وبعده: البدل: أن يوافقه في شيخ شيخه.

فهنا مسلم وافق أحمد في شيخه, لكن لم يكن شيخ مسلمُ هو يزيد بن عبدربه كما هو شيخ أحمد في السند السابق, بل شيخُ شيخهِ, المقصود الإشارة إلى رتبة العلو هنا.

---

[6] هذا ضبط الشيخ –وفقه الله-, والنسخة المقروءة: فرق.

قوله رحمه: (**معناه عند أهل العلم أنه يجيء ثواب القرآن, هكذا فسره الترمذي وغيره)**. أي يُجسدُ ثوابُ القرآن على هذه الصورة, وقد ثبتت الأحاديث في أن من الأعمال الصالحة ما يكون له جسمٌ في الآخرة, بل الموت يُجسم في الآخرة في صورة خروف أملح ثم يذبح.

وقال الإمام أحمد, حدثنا أبو نعيم, قال: ثنا بشير بن المهاجر, حدثني عبدالله بن بريدة, عن أبيه, قال: كنت جالساً عن النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول: تعلموا البقرة, فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة.

قال, ثم سكت ساعة, ثم قال:

تعلموا البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف, وإن القرآن ليلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب, فيقول له هل تعرفني, فيقول ما أعرفك, فيقول أنا صاحب القرآن الذي اظمأتك [7] في الهواجر, وأسهرت ليلك, وإن كل تاجر من وراء تجارته, وإنك اليوم من وراء تجارة, فيعطى الملك بيمينه, والخلد بشماله, ويوضع على رأسه تاج الوقار, ويكسى والده حلتين لا يقوم لها أهل الدين, فيقولان بما كسيتنا هذا,فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال له: أقرأ, واصعد في درج الجنة وغرفها فهو صعود ما دام يقرأ هذاً كان أو ترتيلاً, أخرجه ابن ماجه مختصراً.

البطلة: السحرة, والغياية: كل ما أظلك من شيء, والشاحب: المتغير, والمراد أنه يمثل ثواب القرآن, وهكذا فسره الترمذي وغيره من أهل العلم.

وقوله: يعطى الملك بيمينه, والخلد بشماله: أي يعطى هاتين النعمتين اللتين هما جماع نعيم الآخرة.

وذكر اليد كناية وتمثيلاً لأنهما آلة التناول كقوله: {بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ} [البقرة/237], وقوله: بيده ملاك الأمر. ونحو ذلك.

---

[7] ضبط من الشيخ: اضمأتك في الهواجر, والنسخة المقروءة: ضمأتك في الهواجر.

[أمالي الشيخ]

أين ذكرُ اليد في الحديث؟ لاشك أن اليمين والشمال يد, هل هي المرادة؟!

وهذا الحديث حديثٌ ضعيف بهذا السياق التام, وأوله ثابتٌ في الصحيح كما تقدم, لكن هذا السياق التام فيه ضعف.

وقال أحمد, حدثنا عبدالرحمن, ثنا سفيان, عن عاصم بن أبي النجود, عن زر, عن عبدالله بن عمرو قال: يقال (يعني يوم القيامة) لصاحب القرآن: إقرأ وارقا ورتل كما كنت ترتل في الدنيا, فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها.
رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

[أمالي الشيخ]

هذا حديثٌ حسنٌ جيد الإسناد, وهو من أجلِّ الأحاديث في فضل قراءة القرآن الكريم, وإسناده كوفيّ حسن, وليس لأهل الكوفة حديث عن عبدالله بن عمرو إلا هذا الحديث, فكلُّ سندٍ كوفي من رواية أصحاب زيد بن حُبيش عن عبدالله فهو ابن مسعود, إلا هذا الحديث, كما نص على ذلك الحازمي رحمه الله تعالى, وهذا الحديث فيه الإخبار بأنّ صاحبُ القرآن يقال له يوم القيامة: أقرأ وأرقا ورتل كما كنت ترتل في الدنيا. ثم يُخبر بأن منتهى نُزلِه في الجنة عند آخر آية يقرؤها, فمن هو صحابُ القرآن؟ هذا الحديث يقال لصاحب القرآن, من هو صاحب القرآن؟

[الجواب]: ...طيب. يعني بشرطين: الحفظ والعمل. ...أن يحفظه بظهر قلب,

وأن يكونَ عاملاً به...يعني مكثر بقراءة القرآن... طيب. والذي مكثر من قراءة القرآن ومكثر من قراءة التفسير أليس آدكد في الصحبة؟... ما هو الدليل على هذا؟ ... يعني شرطه العمل به.طيب. إذا يعمل به ولا يقرأ فيه.-مثل عوام المسلمين- حافظين على الصلوات الخمس والصيام ولا يسبلون وغيرها من الأحكام... مرتلا... هل يقرآ في السنة مرة؟ ... والحافظ أيضاً الذي يحفظه ويعمل به ولا يقرأ به هل هو مندرج في جملة هذا أو لا؟ إذا هل هم يتفاوتون؟ طيب تفاوتهم في ماذا؟ واحد حافظ القرآن وآخر غير حافظ للقرآن لكنه يقرأ كثيراً؟ هل مع الحفظ أم مع القراءة فقط؟ طيب واحد يقرأ وما هو بحافظ؟ أنا أعرف رجال يختمون كل ثلاثة لكن ليسوا حافظين. هذا اشكال كبير, صاحب القرآن المنسوب إلى صحبة القرآن, لكن وجه هذه الصُحبة؟ قال الأخ: الحديث فيه القراءة, طيب ما عُرف الشرع في القراءة؟ [الجواب]: لحديث: «يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله». هذا يدّ على أن القراءة هنا -والله أعلم- هي الحفظ, لأن عُرف الشرع حيثُ أطلقت القراءة المراد بها تلاوة القرآن عن حفظ, لكن لا يراد بهذا من يحفظه حفظاً على لسانه, لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: صحاب القرآن. أي الذي انعقدت صحبته للقرآن انعقاداً تاماً لامتثال أوامره واجتناب نواهيه, فلابد أن يكون صادقاً بإتباع هذا القرآن, فكلما زادت معاني الإتباع كلما زاد معنى الصُحبة فكان أجره أعظم من غيره, هذا هو الذي يظهر في معنى هذا الحديث.

عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة, والذي يقرأه ويتعتع فيه, وهو عليه شاق له أجران. متفق عليه.

[أمالي الشيخ]

هذا الحديث مشكل أيضا, ما المراد «الماهر بالقرآن الّذي يقرأهُ, ويتعتع فيه».
هل هذه التعتعة مُوجبها عدم إحسان القراءة أم موجب التعتعة عدمُ الحفظ؟
واضح الإشكال, هذا الحديث حض للحفاظ فيكون أو الذي يقرأه ويتعتع في حفظه ولا يضبطه وهو عليه شاق, له أجران, وذلك الأول مع السفرة الكرام البررة؟

يشمل .ما الدليل على أنه يشمل؟

وقع في صحيح البخاري: «مثل الّذي يقرأ القرآن وهو حافظٌ له مع السفرة الكرام البررة, والذي يقرأ عليه ويتتعتع فيه وهو يتعاهَدُه فله أجران». فهذا يدل على أن المهارة هنا والأجر المذكور أنه في حفظ القرآن, وهذا من أدلة فضل حفظ القرآن, لا كما يقول بعض الناس: أنه لم يثبت في فضل حفظ القرآن حديث, وأنه لا حاجة إنفاق الأموال في فتح الحلقات ونصب المدرسين في تعلم أولاد المسلمين.

وقال أحمد, ثنا عبدالرحمن بن مهدي, عن عبدالرحمن بن بديل, عن أبيه, عن أنس بن مالك, قال, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لله أهلين من الناس.
قالوا: يا رسول الله من هم؟
قال: أهل القرآن هو أهل الله وخاصته.
رواه النسائي عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد, وابن ماجه عن بكر بن خلف كلاهما عن ابن مهدي عن عبدالرحمن.[8] وعن عامر بن وائلة, أن نافع بن الحارث لقي عمر بعسفان, وكان عمر يستعمله على مكة, فقال: من استعملت

---

[8] في النسخة المقروءة في هذا الموضع فاصلة, وضبطها شيخنا –حفظه الله- بأن تكون هنا نقطة, لأنها جملة جديدة.

على أهل الوادي؟ قال: ابن أبزى, قال: ومن ابن أبزى؟ قال: مولى من موالينا, قال: فاستخلفت عليهم مولى! قال: إنه قارئ لكتاب الله, وإنه عالم بالفرائض, فقال: عمر ألا إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال: إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين. رواه مسلم.
وقال أحمد, حدثنا جرير, عن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس قال, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب.
رواه الترمذي عن أحمد بن منيع عن جرير, وقال حسن صحيح.

[أمالي الشيخ]

إسناده ضعيف, والترمذي رحمه الله تعالى يقوي نسخة قابوس بن أبي ضبيان, عن أبيه, عن ابن عباس؛ والأظهر –والله أعلم– أنها نسخةٌ ضعيفة, فيها أحاديث فيها نُكرة.

عن عمرو بن قيس, عن عطية, عن أبي سعيد قال, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الرب تعالى: من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين, وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.
رواه الترمذي عن محمد بن إسماعيل, عن شهاب بن عباد العبدي, عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد عن عمرو.

[أمالي الشيخ]

وإسناده ضعيف.

فهذه بعض فضائل الكتاب, ولا يخفى على أولى الألباب أن المقصود بنزوله

اتباعه, والعمل بما فيه, إذا العاملون به هم الذين جُعلوا أهله, وأن المطلوب من تلاوته تدبره, وفهم معانيه, ولذلك أمر الله بترتيله والترسل فيه ليتجلى أنوار البيان من مشارق تبصرته, ويتحلى بأثار الإيمان من حقائق تذكرته, فإنه يشترك المؤمن والمنافق والمطيع والمارق في تلاوته وقراءته, كما يشمل جميع الناس بتبصرته وبيانه لإقامة حجته وإبانة برهانه, وإنما يفترقون في نفعه وثمراته وهاده ورحمته وشفائه وموعظته, فالاعتبار بقصصه وأمثاله والاستبصار لخدمه, وجلاله, والاذكار بوعده ووعيده, والازدجار بحفظ حدوده, وإيثاره على كل ما سواه, فإنه كلام الله الذي أنزله على رسوله حظيرة[9], قدّسه لإقامة الدين الذي ارتضاه لنفسه, قال سبحانه: {كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف/2-3],, وقال سبحانه:{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} [طه/123], وقال تعالى: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة/38]}, وقال سبحانه: { الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [البقرة/121].

قال عكرمة عن ابن عباس: يتبعونه حق تلاووته, ألا ترى أنك تقول فلان يتلو فلاناً أي يتبعه {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} [الشمس/1-2] أي تبعها.

وفي الصحيح عن عائشة أنها قالت, وقد سئلت عن قول الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}, ما كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: كان خلقه القرآن, يغضب لغضبه, ويرضى لرضاه.

وفي الصحيحين عن طلحة بن مصرف قال: سألت عبدالله بن أبي أوفى أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا. قلت: لِمَ كتب على الناس الوصية أو أمروا بها ولم يوص, قال: أوصى بكتاب الله.

وقال أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود: إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين يقولون: هلم يا عبدالله ليصدوا عن سبيل الله, فعليكم بكتاب الله, فإنه حبل الله.

قال أبو عبيد: إذا دعى بقوله فإنه حبل الله قوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}.

وعنه أن رجلاً جاء إليه, فقال أوصني. فقال: إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا

---

[9] هذا ضبط الشيخ والنسخة المقروءة: حضيره.

الَّذِينَ آَمَنُوا} فارعها سمعك فإنه خير تؤمر أو شر تنهى عنه.
وقال أبو قلابة: لقي رجل من أهل الكوفة أبا الدرداء, فقال: إن اخواننا من أهل الكوفة يقرؤنك السلام, ويسألونك أن توصهم. فقال: أقرئهم السلام ومرهم فليعطوا القرآن بخَزائمهم[10] فإنهم يحملهم على القصد والسهولة ويجنبهم الجور والجزاء يه.
وعن عبدالله بن عمر قال: عليكم بالقرآن فتعلموه وعلموه ابناءكم, فإنكم عنه تسألون, وبه تجزون, وكفى به واعظاً لمن عقل.
وعن الأسود بن يزيد قال: أصبت أنا وعلقمة صحيفة, فانطلقنا إلى ابن مسعود وقد زالت الشمس أو كادت تزول, فجلسنا بالباب, ثم قال للجارية انظري من بالباب, فقالت علقمة والأسود, فقال: ائذني لهما, قال: فدخلنا, فقال: كأنكما قد اطلتما الجلوس, قلنا أجل, قال: فما منعكما أن تستأذنا, قالا: خشينا أن تكون نائماً, فقال: ما أحب أن تظنا بي هذا, إن هذه الساعة كنا نقيسها بصلاة الليل, فقلنا صحيفة منها حديث حسن, فقال: هاتها يا خادمة, هات الطست, فاسكبي فيها, قال: فجعل يمسحها بيده ويقول: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}.
فقلنا: انظر فيها, فإن فيها حديثاً عجباً فجعل يمحها ويقول: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيرها.
قال أبو عبيد: نرى أن هذه الصحيفة أُخذت من بعض أهل الكتاب, فلهذا كرهها عبدالله.
وقال أيضاً: لا يسأل عبد عن نفسه إلا بالقرآن, فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله.
وقال أبو موسى الأشعري: إن هذا القرآن كائن لكم أجراً أو كائن عليكم وزراً, فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم القرآن, فإنه من يتبع القرآن يهبط به على الجنة, ومن يتبعه القرآن يزخ[11] في قفاه حتى يقذفه في نار جهنم.
وقال جندب بن عبدالله بن سفيان البجلي في وصيته لأهل البصرة: وعليكم

---

[10] هذا ضبط الشيخ -حفظه الله- والنسخة المقروءة: جوابهم.

وقال –وفقه الله-: والخزائم: يعني هي الحبال التي تربط في الأنوف الإبل فتقادُ بها.

[11] هذا ضبط الشيخ, والنسخة المقروءة: يزج.

وقال -حفظه الله-: : يزخ –بالخاء. ويزخ: يعني يدفع.

بالقرآن فإنه هدى ونور الليل المظلم فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة, فإن عرض بلاء فقدموا أموالكم دون دينكم, فإن تجاوزها[12] البلاء فقدموا دماءكم دون دينكم, فإن المحروم من حرم دينه, وإن المسلوب من سلب دينه, فإنه لا فقر بعد الجنة, ولا غنى بعد النار, وإن النار لا يفك أسيرها, ولا يستغني [13] فقيرها والسلام عليكم.
وقال خباب بن الأرت لجار له: يا هناه تقرب إلى الله تعالى ما استطعت, واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه.
وقال حذيفة بن اليمان لعامر بن مطر:
كيف أنت إذا أخذ الناس طريقاً واحداً, وأخذ القرآن طريقاً مع أيهما تكون؟
قال: أكون مع القرآن, وأموت معه, وأحيا معه.
قال: فأنت إذا أنت, فأنت إذا أنت.
وعن سليمان الفارسي أنه قال لزيد بن صوحان: كيف أنت إذا اقتتل السلطان والقرآن؟ قال: أكون مع القرآن؟
قال: فأنت إذا أنت يا ابن آدم.
وعن أبي الزاهرية: أن رجلاً أتى أبا الدرداء بابنه, فقال: يا أبا الدرداء إن ابني هذا قد جمع القرآن, فقال اللهم غُفراً, إنما جمع القرآن من سمع له واطاع.

[أمالي الشيخ]

من نفائس كلام أبي الدرداء رحمه الله تعالى, فإن أبا الدرداء أوتي الحِكمة ففي كلامه حكمٌ كثيرة, فإن هذا الرجل جاء إلى أبي الدرداء بابنه, وأخبره أن ابنه قد جمع القرآن –يعني حفظ القرآن– وعبّر بهذا اللفظ, فأراد أبو الدرداء أن يصرف نظره إلى أمرٍ أعظم وأن يجعل همّه شأناً أكبر, فقال: إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع. فالجامع للقرآن حقيقةً هو السامعُ له, المطيع الممتثل لأمره, واعتبر

[12] هذا ضبط الشيخ. والنسخة المقروءة: تجاوزوها.

[13]وهذا ضبط الشيخ. النسخة المقروءة: يستغنى.

هذا الذي ذكره أبو الدرداء في وصف قُراءِ كثيرٍ من أهل الزمان الذي يصفونهم بأنه: الجامعُ للقراءات العشر, أو الجامع للقراءات السبع أو غيرها. ثم تجده عييًّا من كثيرٍ من المتابعة أوامر القرآن الكريم, مقارفاً لنواهيه, فهذا إنما جمع القرآن على اللسان, وحقيقة الجمع كما ذكر أبو الدرداء أن يكون سامعاً مطيعاً لأمر القرآن ونهيه.

وعن الحسن بن علي, قال: أقرأ القرآن ما نهاك, فإذا لم ينهك فليست بقراءة. وقد روي ذلك مرفوعاً من وجه آخر.
قال الحسن البصري: إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن يقرأه.
وعن الحسن أيضاً قال: قراء القرآن ثلاثة أصناف:
صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به.
وصنف أقاموا حروفه, وضيعوا حدوده, واستطالوا به على أهل بلادهم, واستدروا به الولاة, كثر هذا الضرب من حملة القرآن لا كثرهم الله.
وصنف عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم, فركدوا به في محاربهم, وحنوا به رانسهم, واستشعروا الخوف, فارتدوْا الحزن, فأولئك الذين يسقي الله بهم الغيث, وينصرهم على الأعداء, واللهِ لهؤلاءِ الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر.
وقال عبدالله بن مسعود:
ينبغي لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون, وبنهاره إذا الناس مفطرون, وببكائه إذا الناس يضحكون, وبورعه إذا الناس يخلطون, ووبصمته إذا الناس يخوضون, وبخشوعه إذا الناس يختالون, وبحزنه إذا الناس يفرحون, وينبغي لقارئ القرآن أن يكون باكياً محزوناً, حكيماً, حليماً, مستكيناً, ولا ينبغي لقارئ القرآن أن يكون جافياً, ولا غافلاً, ولا صاخباً, ولا صياحاً, لا حديداً.
وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: من جمع القرآن فقد حمل أمراً عظيماً, وقد استدرجته النبوة بين جنبيه, إلا أنه لا يوحى إليه, فلا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد فيمن يجد, ولا يجهل فيمن يجهل, وفي جوفه كلام الله تعالى, وهذا من قول

ابن عمرو يقوي الحديث الذي أخبرنا الشيخ به الجليل أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدالواحد المقدسي بقراءتي عليه[14], قال أبيأنا أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي, أن أبا الحسن علي بن عبدالواحد بن أحمد الدينوري أخبرهم قال: أبنأنا أبو محمد الحسن بن محمد بن الحسن الخلال, أبنأنا أحمد بن جعفر القطيعي قال: ثنا أدريس بن عبدالكريم, ثنا خلف بن هشام بن بشر بن نمير, عن القاسم مولى خالد بن يزيد, قال أخبرني أبو إمامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
من قرأ ثلث القرآن أعطي ثلث النبوة, ومن قرأ ثلثي القرآن أعطي ثلثي النبوة, ومن قرأ القرآن فكأنما أعطي النبوة كلها, ويقال له يوم القيامة أقرأ وارق بكل آية درجة حتى تنجز ما معك من القرآن, ويقال له اقبض فيقيض بيده, ثم يقال له اقبض فيقبض بيده, ثم يقال له ما تدري ما في يدك, فإذا في يده اليمني الخلد, وفي الأخرى النعيم, وإن لم يكن إسناد هذا الحديث بالقائم, فإن قيل ما معنى استدراج النبوة بين جنبيه, قلنا قد قيل إن النبوة من الأنباء فكأن القائم بتلاوة القرآن ينبني عن الله عز وجل, ويحتمل أن يكون ذلك لأن علم النبوة جمعية مستودع في القرآن, علمه من علمه, وجهله من جهله, ولا يتجلى جميع أسرار القرآن إلا في في مرآة النبوة, وأما المؤمنون فهم يتفاوتون في علمه بحسب الاستعداد ويحسب الأسباب, وذلك لأن القرآن يتنوع منه جميع العلوم الطبيعية والشرعية[15] والدنيوية والأخروية, لكن غير علوم الدين إنما دخل منه بالتبع والاعتراض.
أما علم الدين فبين فيه بأسره, قال الله تعالى في وصفة: {وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [يوسف/111], وقال: { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل/89], وكذلك قوله:{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}

---

[14] نبه الشيخ –حفظه الله- على أن الناسخ أدخل بإسناده, لكن شيخ الإسلام سنده من قوله: الذي أخبرنا به الشيخ الجليل أبو الحسن علي..إلخ. وأما الناسخ فسنده: أخبرنا به الشيخ أبو زكريا الرحبي إجازة, والحاج محمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالدبس أيضا, قالا: أخبرنا شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين ابن تيمية إجازة, قال:.

[15] هذا ضبط الشيخ -حفظه الله- العلوم الطبيعة والشرعية. وأما النسخة المقروءة سقط فيها حرف الواو: جميع العلوم الطبيعة الشرعية.

[الأنعام/38] على أحد الوجهين, لكن الأصح أن مراد به اللوح المحفوظ, كما نقل عن ابن عباس لدلالة سياق الآية عليه.
وقال عبدالله بن مسعود: من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين.
وقال مسروق بن الأجدع وهو من كبار تابعي الكوفة, وأجمعهم لعلم الصحابة- : ما نسأل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم عن شيء إلا وعلمه في القرآن ولكن قصر علمنا عنه.
وعن مجاهد قال: استفرغ علمي القرآن. لكن البيان فيه على وجهين: مجمل ومفسر.

[أمالي الشيخ]

هذا كلامُ مجاهد: إذا استفرغ علمي القرآن. ثمّ الذي بعده هو كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

أما أصول الدين وقواعد الشرع فمفسرة فيه, وأما فروعه وكيفيات الأعمال وأعيان المسائل فمجمل فيه موكول بيانه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي المعنى حكاية الشافعي من ذم الكلام لشيخ الإسلام.

[أمالي الشيخ]

شيخ الإسلام. أي أبي إسماعيل الهروي, كتابه ((ذم الكلام)) كتاب عظيم.

وإذا وجدت اطلاق شيخ الإسلام في كلام ابن تيمية فأعلم أنه يريد أبا إسماعيل الهروي صاحبُ ((ذم الكلام)) وصاحبُ ((منازل السائرين)).

قال عبدالله بن محمد بن هارون سمعت الشافعي بمكة يقول: سلوني عما شئتم أحدثكم من كتاب الله وسنة نبيه.

فقال له رجل يا أبا عبدالله ما تقول في محرم قتلَ زُنبورا؟
قال: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}.
حدثنا ابن عيينة, عن عبدالملك بن عمير, عن ربعي, عن حذيفة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر.
وحدثنا سفيان عن مسعر, عن قيس بن مسلم, عن طارق بن شهاب, عن عمر: أنه أمر بقتل زُنبور.
والذي حال بين أكثر الناس وبين فهمه سببان:
أحدهما: الرين الذي على القلوب من العيوب, والذنوب الذي أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين/14], وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث الصحيح عنه: أن ذلك يكون من الذنب على الذنب.
وقال تعالى حاكياً عن المشركين: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آَذَانِنَا وَقْرٌ} [فصلت/5].
وقال تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آَيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف/146].
وقال سفيان بن عيينة: أحرمهم فهم القرآن. وقال ذو النون المصري: أبى الله إلا أن يحرم قلوب البطالين مكنون حكمة القرآن.
وأخبر سبحانه أنه إنما يكون هدى لمتقين السليمة قلوبهم الزاكية نفوسهم, فقال: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ} [البقرة/2], تخصيصاً لهم, كما بين هذا الاختصاص حيث قال: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ} [آل عمران/138], فعم الجميع البيان الذي تقوم به الحجة, ثم قال: {وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران/138], فخصهم بذلك دون غيرهم.
وقال: {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف/203], لأنهم هم الذين ابصروا بها, وكانت على العين عمى كما قال تعالى: { قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آَذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت/44].
وقال: {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا} [الأنعام/104].
فلما عموا عنه كان لهم ضلالاً وخساراً, وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم, قال سبحانه: {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}

[البقرة/26].
وقال: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا} [التوبة/124] الآية وما بعدها.
قال قتادة بن دعامة السدوسي -وهو من علماء تابعي البصرة, وأحفظهم-: ما جالس القرآن أحد إلا فارقه بزيادة أو نقصان, ثم قرأ: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} [الإسراء/82].
وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم هذا أنه يقوله قوم لا خلاق لهم, وقال صلى الله عليه وسلم من طرق صحيحة في صفة أهل النهروان:
يقرأؤن القرآن لا تجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.
[16] أخبرني والدي رحمه الله وجماعة قالوا: أنا عبدالله بن عمر بن علي البغدادي, أنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب السجزي, أنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المظفر الداوودي, أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حموية السرخسي, أنا أبو عمران عيسى بن عمر السمرقندي, أنا الإمام الزاهد أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي, أنا عبدالله بن صالح, حدثني معاوية بن صالح, عن عبدالرحمن بن جبير, عن أبيه جبير بن نفير, عن أبي الدرداء قال:
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشخص ببصره إلى السماء, ثم قال: هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء. فقال زياد بن لبيد الأنصاري يا رسول الله: وكيف يختلس منا؟, وقد قرأنا القرآن, فوالله لنقرأنه, ولنقرأنه نساءنا وأبناءنا, فقال: ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء المدينة, هذه التوارة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا تغني عنهم.
قال جبير فلقيت عبادة بن الصامت قال: قلت ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء, واخبرته بالذي قال:
قال صدق أبو الدرداء, وإن شئت لأحدثك بأول علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيها خاشعاً.

---

[16] النسخة المقروءة فيها قول الناسخ:

وأخبرني الشيخ الإمام العالم محيي الدين ومحمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بالدبس إجازة, قال أخبرنا شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية إجازة, قال أخبرني والدي....

رواه الترمذي عن الدارمي موافقة, وقال حسن غريب.

[أمالي الشيخ]

وهو حديثٌ جيد الإسناد.

وقال بعض العلماء: كما أن ظاهره: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة/79], من الأحداث, ولا تتلوا الحائض ولا الجنب من القرآن فكذلك باطن معانيه لا يناله إلا القلوب التقية النقية, ولا تجد من في قلبه كبراً وحسدا ونحو ذلك طعمه وحلاوته ولا تقفون على أسراره وعجائبه.

[أمالي الشيخ]

ذكر المصنِّف رحمه الله تعالى هنا كلاماً من أحسن ما له في هذا الأمر, وقَلَّ نظيره عند غيره, وهو بيانُ الأسباب الحائلةِ بين الناس وبين فهم القرآن الكريم, فذكر أن مرد ذلك إلى سببين, وابتدأ بذكر أحدِهما: **(وهو الرين الذي على القلوب من العيوب والذنوب)**. فإن هذا الرين يكثُف على القلوب حتى يمنعها فهم كلام الله سبحانه وتعالى, فإن القلب مخلوقٌ على الفطرة أبيض, فإذا أذنب العبد فلم يتب تسرب إليه الاسوداد, كما في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عودا, فأيُّما قلبٍ أُشربها نكت في قلبه نكته سوداء». فالنكت السوداء التي تتابع على القلب بكثرة الذنوب توجبُ حَجبهُ عن القرآن الكريم, وكما أثرت الذنوب في الحجر الأسود الّذي نزل من الجنة أبيضَ نقيًّا, كما ثبت في حديث ابن عباس بسندٍ حسن عند الترمذي, ثم سودته خطايا بني آدم, فكذلك تحول الذنوب القلوبَ

البيضاءَ إلى سوداء, قال الطبري المُحب رحمه الله تعالى: فإذا كان هذا أثرُها في الحجر الأصم, فكيف أثرها في القلب الّذي هو من لحمٍ ودم؟!.

فأثر الذنوب في ذلك عظيم, فتتابعُ الذنوب على القلب يجعلها في غُفلٍ وأكنّةٍ لا تعي ما تُخاطب به من الأمر والنهي, وتصديق هذا في قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آَيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف/146], قال سفيان بن عيينة: أحرمهم فهم القرآن. وقال ذُو النون المصري: أبى الله إلا أن يَحرم قلوب البطالين مكنون حِكمة القرآن. وقال الفِريابي: أمنعهم فهم أمري.

فتمنعُ القلوب بالذنوب أن تفهم كلام الله سبحانه وتعالى, ويكون الران الذي علاها حِجاباً مانعاً من تحصيلها للهدى والموعظة والبصيرة من القرآن, فكلما كثُفت الذنوب على القلوب كلما ضعف فهما للقرآن الكريم, وكلما طهرت القلوب قوي فهما للقرآن الكريم.

روى أحمد في فضائل الصحابة بسندٍ فيه ضعف يسير, عن عثمان رضي الله عنه قال: لو طهُرت قلُوبنا لشبعت كلام ربِّنا. وهذا الشِّبع يشملُ شبع القراءة وشبع الفهم والتدبر, ففيه أن طهارة القلب تؤثر في فهم القرآن, وأن ظلمته تؤثر في حجب فهم القرآن الكريم, وأعظم الذنوب التي يُحجبُ العبد بها عن فهم القرآن, الذنوب القلبية في أعمال القلب كالحسد والحقد والغش والضغن على أحدٍ من المؤمنين أو كراهيةُ وصول الخير إليه, أو محبةُ التكبر والتجبر على الخلق, فإن هذه أعظم ما يؤثر في حرمانه كما ذكر ذلك الزركشي في البرهان, وهو مقتضى الآثار المتقدمة عن السلف رحمه الله تعالى.

وما ألطف ما استدل به بعضُ أهل العلم على هذا, إذ استدلوا بقوله تعالى: {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} [الواقعة/79], كما أن القرآن في المصحف لا يمسه

المحدثون, فكذلك باطن معانيه لا ينالها إلا القلوب التقية النقية؛ أما القلوب المتلوثة بنجاسة الشهوات والشبهات, فإنها لا تمس هذه المعاني.

ولهذا ينبغي أن يعلم طالبُ العلم أن تحصيل العلم ليس بقوة الحفظ ولا بجودة الفهم ولا بكثرة ثني الركب عند الأشياخ ولا بإدمان النظر في الكتب, ولكن تحصيل العلم بطهارة القلب وشهوده أنه عبادةٌ يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى, فإنه إذا كان كذلك فتح الله سبحانه وتعالى له أبواب الرحمات, وكما أن الناس إذا أجدبوا توسلوا إلى ربِّهم واستسقوا يلتمسون نزول الغيث عليهم لتحيى أرضهم, فكذلك لا تحيى القلوب إلا بالتوسل إلى الله سبحانه وتعالى وسؤاله ورجائه وصدق الإقبال عليه في تحصيل العلم, فإن الله سبحانه وتعالى إذا فتح لك سبب تحصيله كان هذا أعظمُ عونٍ في إدراكه, وإذا لم يُفتح لك هذا التحصيل فمهما أوتي الإنسان من حفظٍ وذكاءٍ ونباهةٍ واجتهاد فلا يحصلُ شيئا, وهذا من حفظ الله سبحانه وتعالى لدين, فإن الله عزّ وجلّ قال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر/9], والمراد بالذكر: ما يشمل القرآن والسنة, كما ذكر أبو محمد ابن حزم وابن قاسم العاصمي؛ فمعنى الآية: أن الله تكفل بحفظ الدين كُلِّه. والله سبحانه وتعالى أغيرُ على دينه من أن يضيّعه, وكما أن صاحبُ الجوهرة لا يجعلُ جوهرة في المزبلة, فكذلك لا يجعلُ الله سبحانه وتعالى علمَ شريعته عند القلوب المُتلطخة, أما ظواهر العلوم اللسانية فقد توجد عند هؤلاء, أما حقائق العلم والإيمان والفهم والإدراك فإنها لا تكون إلا لم فتح الله سبحانه وتعالى باب الفهم له, فينبغي أن يجتهد طالبُ العلم في التماس هذا السبب الأعظم في درك العلم, وأن يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى, وأن يصدق في رجائه والتوكل عليه, فإن المرء أوتي فحاله:

إذا لم يكن من الله عونٌ للفتى   فأولُ ما يجني عليه اجتهاده

وكم رأينا في أيام الطلب أناساً يشار إليهم بحفظٍ ونباهه, وأبى الله سبحانه وتعالى أن يكونوا من حراس العلم, لأن الله سبحانه وتعالى اطلع على خبيئة قلوبهم فرأى أنها قلوباً لا تصلحُ للعلم, فصرفوا إلى غيره, إما بتجارةٍ أو لتوسعٍ لمخالطةِ الولاة أو بمحبةٍ لمتاع الدنيا من الأزواج والأولاد, فصار هذا حظهم مما أدركوه من العلم, وصرفوا عن التلذذ بحقيقة العلم, فليعقل طالبُ العلم هذا المعنى, وليقتبس من هذا السبب بأوثقه, وليكثر من تذكير نفسه به, فإنه لا يدرك العلم إلا بهذا, ولا ينفعه من العلم إلا ما كان من الله فتحا, وأما ما كان في الكتب فإنما تذكرُ مكررا ولا تؤنس لذةً, ولا يثمرُ في ذلك في قلبك خشوعا, وإنما إدمانك النظر في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وسؤالك الفتح, وتوسلك إلى الله سبحانه وتعالى في درك العلوم هذا هو الّذي يمددك بهذه الأسباب, وإذا وَثق الإنسان بغير ذلك صرف, فإذا وَثق بحفظه أو فهمه أو شيخه أو درسه أو غير ذلك فإنه يُخذل, لأنه عول على مخلوق, واستغاثة المخلوق بالمخلوق كالستغاثة الغريق بالغريق, كما قال أبو يزيد البسطامي رحمه الله.

والسبب الثاني: ترك تدبره وتفهمه من المعتقد لذلك,[17] قال سبحانه يبين أنه أنزله لنتدبر إذ قال: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ} [ص/29].
وقال: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ} [النساء/82].
وقال: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون/68].
قال عمرو بن مرة -وهو من فضلاء الكوفيين-: إني لأمر بالمثل من كتاب الله

[17] نبه شيخنا على أن الفاصلة بعد قوله: من المعتقد لذلك. وليس قبل قوله: لذلك. والنسخة المقروءة : من المعتقد, لذلك.

فلا أعرفه فأغتم به لقول الله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت/43].

ومن أجل التدبر أمر بالترتيل في قوله: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل/4].

وقال عبيد المُكتب: قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران, ورجل قرأ البقرة, قيامهما واحد وسجودهما واحد وجلوسهما واحد أيهما أفضل؟

قال: الذي قرأ البقرة, ثم قال: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا} [الإسراء/106].

وقال أبو حمزة: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة, وإني أقرأ القرآن في ثلاث. قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فادبرها وارتلها أحبُّ إلي من أن أقرأ كما تقول.

عن زيد بن ثابت نحو ذلك.

ونعتت أم سلمة قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مُفسرة حرفاً حرفا.

ومن ذاق طعم القرآن استملى ترداد الآية, فقد روى النسائي وابن ماجه عن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلة بأية من القرآن يرددها حتى أصبح: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة/118].

وقام تميم الداري بقوله: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الجاثية/21]} الآية, يرددها حتى أصبح.

وقام عمر بن الخطاب بفاتحة الكتاب حتى أصبح لا يزيد عليها.

[أمالي الشيخ]

بعد أن فرغ المصنف رحمه الله تعالى من ذكر السبب الأول المانع من فهم القرآن وهو الران الواقع على القلوب بسبب الذنوب والعيوب, ذكر السبب الثاني وهو (**ترك تدبره وتفهمه**), والمراد بتدبر القرآن الكريم: هو النظر فيه لطلب فهمه.

وقد اختار الله سبحانه وتعالى لدلالة على هذا المعنى لفظاً واحدا, وهو لفظ

التدبر كما قال تعالى: {لِيَدَّبَّرُوا آَيَاتِهِ} [ص/29], قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ} [النساء/82], وقال تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون/68] في آي أُخر, كلّها تدور على هذا اللفظ, وإنما اختير هذا اللفظ دون غيره من الألفاظ, لأنه اللفظ الكامل المستوعب لمعنى المقصود من فهم القرآن الكريم, فإن فهم القرآن الكريم المقصود منه إيصال الخلق إلى عبودية الله سبحانه وتعالى, فالمتدبر يُثمر فيه تدبرهُ الإقرار بالإلوهية, ولا يمكن أن يحصل التعبير عن هذا المقصود إلا بهذا اللفظ, ولأجل ذلك اختاره الله عزّ وجلّ دون غيره, ومن هنا فإنه لا يقالُ: التفكر في القرآن. بدليل القرآن, لماذا؟

[الجواب]: إن القرآن جَعل التفكر مختصاً بالنظر في الآيات الكونية, فلا تُذكر الآيات الكونية إلا ذكر معها التفكر, ولا تُذكر الآيات الشرعية إلا ذكر معها التدبر' كما قال الله عزّ وجلّ: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [آل عمران/191], ثم يذكر في آيةٍ أخرى شيئاً من الآيات الكونية فيقول: {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}.

فالتدبر: هو النظر في الآيات الشرعية لطلب فهمها, وهو يوصل إلى الإقرار بالإلوهية –يعني العبودية–.

والتفكر: هو النظر في الآيات الكونية لفهما, وهو يُوصل إلى الإقرار بالربوبية. لذلك فرق بين اللفظين, فالله عزّ وجلّ لم يقل: أفلم يتفكروا في القرآن. لأنه ليس مقصود هذا أن يوصلك إلى الربوبية, بل مقصوده هو أن يوصلك إلى أعظم, وهو إيصالك إلى الإلوهية, فعُلم بهذا أن ما كان أجنبيًّ عن القرآن أصلا كالاشراقات والجولات والتأملات, أنها عبارات قاصرة عن الوفاء بمراد الربِّ سبحانه وتعالى من إنزال القرآن, فلا يقال: التأمل في القرآن. ولا يقال: التفكر

في القرآن. ولا يقال غيرها من العبارات لأنها عبارات قاصرةٌ عن ما أختاره الله سبحانه وتعالى بالمراد من ذلك في القرآن الكريم.

إذا علم هذا فإن من أعظم الأسباب التي تحول بين الناس وبيّن فهم القرآن تركُ تدبره, ولإحراز هذا التدبر أمر الله سبحانه وتعالى بترتيله فقال: {وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلًا} [المزمل/4], معنى {وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلًا}: أي اقرأه على الصفة المتلقاه, فإن الله عزّ وجلّ تكلم بالقرآن ترتيلا, كما قال تعالى: {وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} [الفرقان/32], ثم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرأه على هذه الصورة فقال: {وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلًا}, ونحن بمأمورون بذلك, لأن الأمر كما قال الناظم:

لنا ما أمر الرسول سوى ما خصه الدليلُ

فالترتيل: هو الهيئةُ الكليّة لقراءة القرآن الكريم. وأفراد هذه الهيئة هي التي يذكرها القراء من الحدر والتحقيق والتدوير, وذكر بعض السلف في تفسير {وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلًا}: أي اقرأه على مهل وتؤده. أي كقراءة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فليس هذا دليلاً على قراءة التحقيق, أو أن هنالك نوعٌ من أداء القرآن يسمى الترتيل, بل المعنى اقرأه كما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في تؤده وتمهل, فإنه كما سبق كان يقرأ النبي صلى الله عليه وسلم قراءة مفصلةً –يعني واضحةً بيّنةً–, لأن تفصيل القراءة يُعينُ على فهمها, ومن هذا باب الوقف والابتداء عند السلف, وقد كان هذا الباب عظيم القدر عند السلف, لأن الوقف في الآية معينٌ على فهم معانيها, فمثلاً قوله تعالى: {كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ} [الهمزة/4], ليس المعنى الّذي تؤديه كما إذا قرأت: {كَلَّا}, {لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ} [الهمزة/4], فإن {كَلَّا} متعلقة بما قبلها في إنكار ما فيه, ثم مؤسسةٌ لما بعدها بالوقف {لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ}, ومما بز فيه أهل المغري على المشارقة أنهم يتلقون القرآن حفظاً

بوقفه, فليس مرادهم في الحفظ مجردُ الكلمات, بل إنّهم يحفظون كلَّ وقفٍ, ونوعَ ذلك الوقف في كلِّ آية من آيات القرآن الكريم, ولهذا إذا اجتمعوا على قراءة كما عندهم كما يسمى قراءة الحزب في طرفي النهر, يقرؤون بنفسٍ ويقفون بنفس, فالمبدأُ معلوم والمقطعُ معلوم, ولأجل هذا كانت عناية السلف بعلم الوقف والابتداء عظيمة كما يعلم من كتاب المقتفى لابن الأنباري وغيره, أما الناس فصاروا لا يأبهون بهذا العلم, بل صار بعض الناس يقول إنه تقييدٌ لقراءة القرآن, وفي الحقيقة هو معينةٌ على فهم القرآن الكريم, وكم من آيةٍ كان المعينُ على فهمها الوقفُ فيه, فإن الإنسان إذا وقف في مقطعٍ من آية أسفر ذلك الوقف عن معناها, وإذا كان لا يبالي بالوقف ربما دمج معنىً في معنى, كما في آخر آيةٍ في سورة الإنسان, وهي قوله تعالى: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ} [الإنسان/31], هكذا سمعتُ واحد يقرأ, وقف على هذا اللفظ: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ}, وإذا قلت له يا أخي هذا الوقف قبيح, قال: النفس قصير. طيب اقصره جزاك الله خير وقف على ما قبلها.

وكما حدثني أحد المشايخ –شفاه الله– أنه صلى خلف رجلٍ في قول الله تعالى في سورة يوسف: {وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ} [يوسف/17], يقول هو في دعابة, قلت له: يا ولدي يوسف أكل المتاع. فمثل هذه الأوقاف تسيءُ فهم القرآن الكريم, كما أن الوقف الصحيح يعينُ على فهم القرآن الكريم, وهذا هو معنى قوله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل/4], أي أقرءاه على مهل وتؤدة. ومثل ما يؤذي في فهم القرآن الكريم مما عليه القراء اليوم, الخروجُ به عن نسقه المتلقى, كالذين يبالغون في المدود والغنن والألحان وأشباه هذا, فإن هؤلاء آثمون, لأنهم خارجون عن سَنن قراءة المتلقاه, وهم يطربون الناس

ويحزنونهم بهذا الأفعال التي يفعلونها, وصارت هذه القراءة هي مطلوبُ أكثر الناس, لأنهم لا يعون حقيقة القرآن الكريم في فهمه وتلقيه.

ثمّ ذكر رحمه الله تعالى من شواهد عناية السلف في قراءة القرآن وامتثالهم بهاذ كما قال الله عزّ وجلّ: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ} [الإسراء/106], يعين على تؤدة ليحصل تدبره؛ وقد كان السلف رحمهم الله تعالى لأجل ذلك يكررون قراءة الآية ويرددونها حتى يستظهرون معانيها, وقد كان يّذكر عن الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى أنه كان يقرأ الوجه الواحد ثلاثين مرة, لفهم من المعاني عند إرادة تفسيره.

والذي يعين على المتدبر استخراج درره وجواهره, والاهتداء بأنوار بصائره:

علم التفسير: الذي هو مفتاح باب فهمه، ومصباح أسباب علمه، والكفيل بفتح مقفله, والقبيل بشرح مشكله، والمهيمن على تفصيل مجمله، فإن تدبره واتباعه والعمل بما فيه لا يكون إلا بعد فهمه ومعرفة معانيه، لكنه مقسم كما قال ابن عباس:

التفسير على أربعة أوجه:

وجه تعرفه العرب من كلامها.

وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.

وتفسير يعلمه العلماء

وتفسير لا يعلمه إلا الله.

فأما الوجه الأول فهو معرفة دلالة ألفاضه ومعانيها بحسب ما يفهم من العربية وعُرفها, وهذا التفسير هو الأولى بحسب عادتها لم يعبر عنه باللغة مثل الترجمة عن لغة بلغة أخرى, فإنه يفهم اللغة الأخرى, وهذا النوع كان مستحيلا في زمن الصدر الأول لجميع الناس عالمهم وجاهلهم, لأن اللغة طبعهم ولسانهم, وإن كان قد يختفي على بعضهم بعضه.

فأما الآن فقد صار لا ينال إلا بطلب العلم, ولعله هو الذي يقصده عامة المفسرين بتفسيرهم.

و أما الوجه الثاني: الذي لا يعذر أحد بجهله فهو ما فيه من الأمر والنهي والحلال والحرام فإن طلب علمه فرض على جميع الناس عند الحاجة إليه.
و أما الوجه الثالث: الذي يعرفه العلماء فهو مثل أسباب تنزيله وحقائق تأويله وناسخه ومنسوخه ومجمله ومتشابهه وخاصة وعامه ونحو ذلك، ثم وراء ذلك ما يفتح عليهم من فهمه ومعرفة عجائبه وحكمه و أسرار وأن يرى وأن يترك للآية الواحدة وجوهاً كثيرة, وهذا ما لا نهاية له فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يقول: {رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا} [طه/114].
وأما الوجه الرابع: الذي لا يعلمه إلا الله فمثل ما فيه من الآجال المبهمة نحو وقت الساعة المجيء الآيات وغير ذلك.
وقد كان السلف مع معرفتهم بتفسيره العربي يجتهدون في طلب تفسيره من الوجهين الآخرين.
قال ابن مسعود:
((كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن))
وقال أبو عبدالرحمن السلمي:
حدثنا الذين كانوا يقرؤننا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود و أبي بن كعب إنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن و العمل جميعا.
وقال ابن عباس: ما من قارئ القرآن[18] ولم يعلم تفسيره إلا بمنزلة الأعرابي يقرأ ولا يدري ما هو.
وقال سعيد بن جبير: من قرأ القرآن ثم لم يفسره كان كالأعمى أو كالأعرابي.
وقال الحسن البصري: ما أنزل الله آية إلا وهو يجب أن يُعلم فيما أنزلت, وما أراد بها.
وقال: علم القرآن ذَكرٌ لا يعلمه إلا الذكور من الرجال.
وقال إياس بن معاوية: من قرأ القرآن وهو يعلم تفسيره أو لا يعلم مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا، وليس عندهم مصباح فتداخلهم بمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه فإذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه.
وقال أبو نصر الرملي: أتانا الفضيل بن عياض بمكة فسألناه أن يملي علينا,

---

[18] ضبط شيخنا –حفظه الله. والنسخة المقروءة: ما من قرأ القرآن.

فقال: ضيعتم كتاب الله وطلبتم كلام فضيل وابن عيينة, ولو تفرغتم لكتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون.
قلنا: قد تعلمنا القرآن، قال: إن في تعلم القرآن شغلا لأعماركم وأعمار أولادكم، وأولاد أولادكم.
قلنا: كيف؟ قال: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا اعرابه ومحكمه ومتشابهه وحلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه, إذا عرفتم ذلك اشتغلتم عن كلام فضيل وغيره, ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [يونس/57].
وقال إبراهيم التيمي: خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد, وقبلتها واحدة، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم أنزل, وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن, ولا يدرون فيما أنزل, فيكون لهم فيه رأي، وإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا, فإذا اختلفوا اقتتلوا, قال: فزبره عمر وانتهره, فانصرف ابن عباس, ونظر عمر فيما قال, فعرفه وأرسل إليه, فقال أعد علي ما قلت, فأعاده عليه, فعرف عمر قوله وأعجبه.
وقال ابن مسعود: الذي لا إله غيره ما أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت, وأين نزلت, ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته.
قالمسروق: كان عبد الله يقرآ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار.
وقال أبو وائل: شهدت أبن عباس ووليَ الموسم[1], فقرأ سورة النور على المنبر, وفسرها لو سمعته الروم لأسلمت.

[أمالي الشيخ]

[1]وليَ الموسم. أي صار أمير الحج.

لما فرغ المصنّف رحمه الله تعالى من بيان أنّ التدبر من أعظم الأسباب لفهم القرآن, ذكر أن أعون شيء على تحصيل التدبر هو معرفة تفسير القرآن كما

قال: **(والذي يعين على المتدبر استخراج درره وجواهره, والاهتداء بأنوار بصائره, علمُ التفسير)**. فعلم التفسير مفتاحٌ بلوغ فهم معاني كتاب الله سبحانه وتعالى.

ثم نقل الأثر المروي عن ابن عباس رضي الله عنه: أن التفسير على أربعة أوجه:

وجهٌ تعرفه العرب من كلامها. أي باعتبار الوضع اللغوي, فإن القرآن عربي, فهم خوطبوا بلسانٍ يعرفونه, وكان هذا أولاً في من مضى سليقةً لسلامة ألسنتهم, ثمّ صار يُحاج فيه إلى آلة هي طلب علم التفسير.

والثاني: تفسيرٌ لا يعذر أحدٌ بجهالته. وهو الضروري من الدين, المذكور في القرآن الكريم كقوله تعالى مثلاً: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}, فإن كلَّ مسلمٍ يعلمُ أن الصلاة المأمور بإقامتها في هؤلاء الآيات هي الصلوات الخمس المفروضة.

وبعده: تفسيرٌ يعلمه العلماء. وهو أخصُّ علمِ التفسير من حقائق القرآن, وأسباب النزول, والمشكل, والمتشابه ونحو ذلك.

والنوع الرابع: تفسيرٌ لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى. وهو ما تعلق بالغيبيات, كالكيفيات, والحوادث الماضيات, والحوادث المقبلات, فهؤلاء الغيبيات لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى,

وإذا كان المرء له قدرةٌ على طلب التفسير بمعرفته لكلام العرب, فإنه ينبغي أن يجتهد في طلبه بهذا الأخذ, فإن أمر العلم الضروري في كلام الله عزّ وجلّ عامةُ طلبةِ العلم يدركونه, ولكن ما زاد عن ذلك وهو مما كانت العرب تعرفه بلسانها, فهذا هو الذي ينبغي أن يتميز به طالبُ العلم عن عامة الناس, كما أنّ التفسير الذي يعلمه العلماء هو الذي يتميز به العالم عن عموم طلبة العلم.

والتفاسير كثيرة, ولكن أعون التفاسير على ذلك تفاسير السلف, بعد تحصيل الآلة المعينة على فهم كلام الله سبحانه وتعالى, ونعتُ تفسيرٍ من التفاسير بأنه أفضل باعتبار مقيدٍ لا على وجهِ مطلق, فإن هذا متعذر, ولكن من كملت آلته وعرف طريق أخذ علم التفسير وسلكه سلوكاً حسناً, فإنه يصل إلى فهم كلام الله سبحانه وتعالى, لكن إذا سمعت أحداً يقول: أفضل تفسيرٍ هو كذا. فأعلم بأنه باعتبار مقيد, فقد يكون قوله باعتبار عموم الناس, كما إذا قيل: إن تفسير الميسر –الذي صدر عن مجمع الملك فهد– أفضل. لأنه باعتبار عموم الناس, وإذا قيل: إن تفسير الجلالين أفضل. باعتبار ما عليه من الحواشي التي علقها العلماء؛ فهذا يكون أفضل لأن العلماء يقتدرون على تدريسه في هذه الحواشي, أما هو في نفسه, فنفعه لطالب العلم قليل. وإذا قيل: إن الوجيز للواحدي أفضل. فهو باعتبار أن الواحدي كان له عنايةٌ في تدريج التفسير, إذ ألف الوجيز ثم الوسيط ثم البسيط, وهذا مأخذ معتبر في العلم, فإن العالم الذي يدرج العلم ليس كغيره, فتصانيف أبي محمد ابن قدامة في فقه الحنابلة ليست كغيره, وتصانيف أبي عبدالله ابن هشام في علم النحو ليست كغيره, لأنه اعتنى بتدريج العلم فيه. وهذا العلم كما توجعنا غير مرة هو من العلوم التي ضل الناس طريقها, ثم قل حظهم منها, فإن علم التفسير لا يبتدئ فيه طالب العلم بقراءة تفسيرٍ تام, فإنه لا يدرك هذا, وقَلَّ أن يوجد في هذه الأزمان من قرأ تفسراً على شيخه من أوله إلى آخره, هذا إذا حظي بشيخٍ له نفسٌ في التحقيق, لكن فهم القرآن يؤخذ أوزاعاً أوزاعاً من طرق مؤديةٍ إليه, كأن يتعلم طالبُ العلم غريبه من كتابٍ مُعتدٍ به, ثم يرتقي درجة أخرى فيتعلمُ معاني كلماته وهي ما زاد عن الغريب, ثم يطلع إلى رتبةٍ أخرى فيعرف وجوهه ونظائره إلى آخر ما ذكرناه في بعض المجالس.

والمقصود أن معرفة التفسير بأخذه عن الطرق المؤدية إليه, تعينُ على فهم كلام الله سبحانه وتعالى.

ثمّ ذكر كلام السلف رحمهم الله تعالى في تعظيم قدر التفسير, وأن الإنسان لا يأنس بلذة القرآن ولا يجد حلاوته إلا مع معرفته بالتفسير, كما قال ابن جرير: عجبتُ لم يقرأ القرآن كيف يجد لذته, وهو لا يعرف تفسريه! ومعنى قول الحسن: علمُ القرآن ذكرٌ لا يعلمه إلا الذكور من الرجال. الذكر وصفٌ يرادُ به الكرم والنُبل, كما في قول أمّ مريم: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى} [آل عمران/36], فالذكر له فضيلةٌ في كلِّ جنس, فصار علماً للإشارة إلى العلو والكرم والرفعة, فهذا العلم لا يعلمه إلا من نبُلت نفوسهم وكرمت من الرجال.

عن سفيان عن عبد الأعلى, عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال, قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال في القرآن بغير علم)) وفي رواية ((برأيه)) ((فليتبوا مقعده من النار)).

رواه النسائي و الترمذي, وقال حسن, وقد روي موقوفا وهو في الحكم مرفوع, لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي.

وقال الترمذي, حدثنا عبد بن حميد, قال ثنا حبان بن هلال, ثنا سهيل أخو حزم القطعي, ثنا أبو عمران الجوني, عن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ, ومن قال في القرآن برأيه فأخطأ فليتبوأ مقعده من النار)).

رواه النسائي و ابن ماجة, ورواه الترمذي موافقة وقال غريب.

وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل.

وإنما قال فقد أخطأ مع إصابته لأنه حائر عن الطريق المستقيم.

وقال بغير علم, وإنما حصلت أصابته بحثا واتفاقا, وكذلك القاضي بغير علم, والمصلي إلى القبلة عند الاشتباه بغير اجتهاد وغير ذلك, ولهذا كان السلف يتوقفون في التفسير إلا بعلم واضح, وما علموا به قالوا به, وما لم يعلموا منه وكلوه إلى عالمه, ولم يتكلفوا القول به.

فسئل أبو بكر الصديق عن قوله تعالى: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس/31].
فقال: أي أرض تقلني, وأي سماء تظلني إذا قلت في كتاب الله برأيي, وبما لا أعلم.
وقال أنس: قرأ عمر على المنبر {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها, فما الأب, ثم رجع إلى نفسه فقال إن هذا لهو التكلف يا عمر.
وقال ابن أبي مليكة: سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة.
فقال الرجل: إنما سألتك لتحدثني, فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه, والله أعلم بهما, فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.
وقال ابن أبي مليكة: سئل ابن عباس عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها, فأبى أن يقول فيها.
وقال عبد الله بن مسعود: إن للقرآن منارا كمنار الطريق, فما عرفتم منه فتمسكوا به, وما شبه عليكم فكلوه إلى عالمه.
وسئل عن قوله: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النساء/24].
فلم يقل فيها شيئا.
قال سعيد بن جبير: كان لا يعلمها.
وعن جندب بن عبد الله: أن طلق بن حبيب سأله عن آية من القرآن, فقال: أحرج عليك إن كنت مسلما لما قمت عني، أو قال أن تجالسني.
وقال عبيد الله بن عمر: أدركت فقهاء المدينة, وإنهم ليعظمون القول في التفسير[19], منهم: سالم بن عبد الله, والقاسم بن محمد, وسعيد بن المسيب، ونافع.
وكان سعيد بن المسيب إذا سئل عن التفسير آية من القرآن قال: أنا لا أقول في القرآن شيئا, وكان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.
وقال ابن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن آية فقال: عليك بالسداد فقد ذهب الذين علموا فيم أنزل القرآن.
وقال إبراهيم النخعي: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه.
وقال الشعبي: والله ما من آية إلا قد سألت عنها, ولكنها الرواية عن الله.
وقال مسروق: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله.

---

[19] هذا ضبط شيخنا –أيده الله-,: وإنهم ليعظمون القول في التفسير. وأما النسخة المقروءة: وإنهم ليعظمون القرآن في التفسير.

وقال هشام بن عروة: ما سمعت أبي يؤول آية من كتاب الله قط.
وقال مسلم بن يسار: إذا حديث عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.
وهذا كله نهاية للقول في القرآن, وخوفا من الزلل فيه, وتعظيما للقول فيه بغير علم, كما قد كانوا يهابون الفتوى والحديث, بل أشد وأعظم, لا إنكارا لأصل التفسير, فإن دلائله متناصرة, والمراد من القول في القرآن بغير علم أن تقول مقالة لا يشهد لها أصل صحيح, بل يرجم فيه بحسب ما يظن, وما يخطر بقلبه, وما تدعو إليه هواه كتأويل أهل الأهواء وكثير من المنسوبين إلى التفسير.
فأما إذا كان قد شهد له أصل صحيح لا يقطع به فهو الذي كان يقف فيه من ذكرناه من السلف, وليس المراد به ما يؤتاه العبد من الفهم في القرآن ورؤية سعة فهمه وعلمه ففي صحيح البخاري عن أبي جحيفة قال: قلت لعلي هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم شيئا ليس عند الناس؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبدا في القرآن, ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ((اللهم علمه التأويل)), ولو كان مقصورا على مجرد الرواية لم يكن لابن عباس فيه مزية هذا إلى التفسير.
والتأويل من العلوم المتعلقة بالتنزيل مثل علم القراءات والإعراب واللغات وفضائل السور والآيات, وما فيها من الآيات البينات والحكم والحقائق والمواعظ والرقائق والسنن والآثار, والقصص والأخبار, ونكت لفظه ونظمه ووجوه سعة علمه وأصول الدين والأحكام وتفصيل شرائع الإسلام وما في ذلك من مختلف فيه ومجمع عليه, ومستند كل طائفة فيما ذهبت إليه إلى غير ذلك مما فيه لكل وارد مشرب صافي[20], ولكل فاضل نصيب وافي, مع أن علمه أعظم من أن يحيط به أنسان وأن يترجم عنه لسان فإنه مجمع العلوم الربانية ومرجع الفهوم الايمانية, وكل ما ازداد الإنسان يقينا وإيمانا ازداد في القرآن معرفة وتبيانا, وكل ما يحسن معينه ظهر معينه, وما من العلوم كالوسائل والأسباب والقشر من اللباب.

[أمالي الشيخ]

ذكر المصنِّف رحمه الله هاهنا أن السلف مع عنايتهم بتفسيره واهتمامهم به أنهم

[20] ضبط من الشيخ: لكل واردٍ مشرب صافي. والنسخة المقروءة: لكل وارد وشرب صافي.

كانوا يتوقفون في شيءٍ منه, وبما صرحوا بعد علمهم به, وذموا رحمه الله تعالى القول في القرآن بالرأي, كما أنهم تكلموا فيه بالرأي.

وسبق أن ذكرنا لكم أن الرأي المذموم هاهنا: هو ما لم يحتمله اللفظ ولا دل عليه القرآن.

أما الرأي المحمود: فهو ما احتمله اللفظ ودل عليه القرآن.

فالذي ذمه السلف هو المذموم, والذي تكلموا به هو المحمود, وإذا امسكوا في بعض الآي عن تفسيرها والقول فيها لعدم اطلاعهم على ما يمكنهم من تفسيرها.

وأحق ما يبدئ في مجلسٍ ابتداء تأويله صفةُ ابتداء نزوله[21].
ففي الصحيحين من حديث عائشة قالت: أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء, فكان يأتي حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك, ثم يرجع إلى خديجة, فتزوده لمثلها حتى فجأه, وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال: أقرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقلت: ما أنا بقارئ, قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد, ثم أرسلني, فقال: أقرأ, فقلت: ما أنا بقارئ, قال: فأخذني فغطى الثانية حتى بلغ من الجهد, ثم أرسلني فقال: أقرأ فقلت: ما أنا بقارئ, قال: فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد, ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ} حتى بلغ {مَا لَمْ يَعْلَمْ}.
قالت: فرجع بها يرتجف بوادره وذكر الحديث.
ففي الحديث بيان أول ما نزل {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} كما قاله قتادة وأبو صالح وغيرهما وهو الصحيح, ولذلك استحب أحمد أن يستفتح التراويح أول

---

[21] نبه الشيخ أن هذه الجملة تكون في بداية هذا المقطع,وليس كما وضعها الناشر في المقطع السابق. وقال الشيخ –حفظه الله-: وهذه بداية الكلام, هي التي قلت لكم تشير إلى شيء: قال:

(وأحق ما يبدئ في مجلس ابتداء تأويله صفة ابتداء نزوله). فهو أراد أن تكون هذه مقدمةً بين يدي تفسير له كان يفسره.

ليلة من شهر رمضان, ولعل في ذلك أثر.
وروى عن جابر بن عبد الله: أن أول مانزل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}, وقد أخرجا في الصحيحين من حديثه, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي, فقال في حديثها: فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه رعبا, فرجعت, فقلت: زملوني زملوني فدثروني, فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر/1].

والرواية المشهورة بتقديم الهمزة على الثاء المثلثة, وقد روى بثائين أي رعبت وفرقت يقال رجل مجثوث ومجوث.
وهذا الحديث يبين أن نزول المدثر بعد نزول اقرأ لأنه كان بحراء وهو موافق للحديث الأول.

وروي عن الحسن وعكرمة أن أول ما نزل {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} وروي في ذلك حديث مرفوع, والأول أصح لما تقدم.

[أمالي الشيخ]
والحديث المروي في ذلك لا يصح. والصحيح أن ما أول ما نزل هو أول سورة العلق.

وأما اليوم الذي ابتدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بالتنزيل.
ففي صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصوم يوم الأثنين, فقال: ذلك يوم ولدت فيه, وأنزل علي فيه.
وأما الوقت فعن محمد بن أسحاق أنه قال: ابتدأ بالوحي في شهر رمضان [[22]], وقيل هو يوم السابع والعشرين من رجب.
وأما مدة نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم, ففي الصحيحين عن ابن عباس قال: أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين, وأقام

[22] ضبط الشيخ –حفظه الله تعالى- : ابتدأ بالوحي. والنسخة المقروءة: ابتدى بالوحي.

بمكة ثلاث عشرة, وبالمدينة عشرة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، فيكون أمد نزوله نحوا من ثلاث وعشرين سنة.
وروي عن الشعبي قال: فرق الله القرآن, فكان بين أوله وآخره عشرون سنة ونحوه عن ابن عباس وغيره.
وعن الحسن البصري قال: ذكر لنا أنه بين أوله وآخره ثماني عشرة سنة, أنزل عليه بمكة ثماني سنين, وبالمدينة عشر سنين, ولعله أراد المدة التي حمي فيها الوحي, وتتابع, وإلا فالصحيح الأول لقول الجمهور.

[أمالي الشيخ]
والصحيح هو القول الأول جزماً, وأن مدة نزوله هي ثلاثة وعشرون سنة.
ومن لطائف الوقائع أن من أشهر المتأخرين ممن اعتنى بتفسير القرآن في مجالسه, وهو الشيخ عبدالحميد بن باديس قد ختم تفسير القرآن في ثلاثٍ وعشرين سنة كمدة أمد تنزيله. ثم توفي رحمه الله تعالى وهو في الخمسين, في السنة التي تليها.

وأما آخر سورة أنزلت, فروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنها سورة {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ}.
وروى أبو إسحاق عن البراء بن عازب أنها سورة براءة وهما جميعا من أواخر السور نزولا, فلذلك اشتبه الأمر.
وأما أخر آية نزلت, فروى أبو إسحاق عن البراء بن عازب أنها آية الكلالة التي في آخر النساء.
وعن أبي بن كعب وغيره أنها قوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} [التوبة/128] الآيتين موافقة لقول من قال, إن آخر السور نزولا براءة.
وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية الربا, كأنه يريد ما روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح أنها قوله: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة/281].
آخر كلام شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه, ونور ضريحه آمين.

وهذا آخر التقرير على هذه الرسالة النافعة الماتعة, وبالله التوفيق, وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

نسخة من وجادته الصوتية/
خميس بن محمد اليماحي –غفر الله له–
ولوالديه ولمشايخه